مِصْبَاحُ الظَّلَامِ

فِي الْمُسْتَغِيثِينَ بِخَيْرِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

فِي الْيَقْظَةِ وَالْمَنَامِ

مصباح الظلام

في المستغيثين بخير الأنام عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام

تأليف الإمام المحدث الفقيه القدوة
أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المزالي الراكشي
ولد سنة ٦٠٧ - وتوفي سنة ٦٨٣
رحمه الله تعالى

اعتنى به
حسين محمد علي شكري

الناشر
دار المدينة المنورة
للنشر والتوزيع

دار
السيد عبد علي بن صفر الحسيني
لنشر التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الوجود سيدنا وحبيبنا وشفيعنا ووسيلتنا إلى الله الحبيب المحبوب، مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذا كتابٌ عظيمٌ جليلٌ مفيدٌ لكلِّ مُحبٍّ لجناب المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم، يزيد مُحبيه إيماناً بمزيد المحبة، ويُغيظ قوماً آخرين لم يروا ما أُعطىٰ ووهب الله الخالق الواحد المتفرد بالعبودية والوحدانية لهذا النبي العظيم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فكلُّ ما يحصل ويجري على يديه صلى الله عليه وآله وسلم، فهو من منّة الله عليه، ومزيد إفضاله عليه، وفيه تنبيهٌ لنا وإشارةٌ واضحةٌ لبصائرنا لما أُعطىٰ ووهب لهذا النبي الذي لا يستطيع أيُّ إنسان وصف مكانته، وعظيم قدره عنده.

هذا الكتاب فيه ما تُنكره عُقُول من عميت بصائرهم عن أن يُصدِّقوا أو أن يتقبَّلُوا ما فيه، مع أنه ليس شيئاً خُرافيّاً وغير ممكن الحدوث إلاَّ في عقل من نظر إلى القدرة البشرية المُجرَّدة، ولم يُوقف فِكرهُ وعقله على سَعة وعدم محدودية القدرة الإلهية التي تفعل اللاممكن في تصور العقل البشري، فحصل النكير والتطاول على من اعتقد أنَّ القدرة الإلهية التي أمكنت فعل الشيء المستحيل على يد من أعطاه الله عزّ وجل ذلك تكريماً وإظهاراً للفضل والمكانة لمن أُعطيَ ذلك.

فنحن بحمد الله نؤمن ونعتقد ونجزم، أنَّ ما ورد ذكره في ثنايا هذا الكتاب من قصص وحوادث جرت لمن استغاث وتوسَّل وتوجّه بالنبي صلى الله عليه وسلم صحيحةٌ، لا نشُك ـ ولله الحمد على ذلك ـ في صدقها وإمكان وقوعها لمن أخلص النية، وحَسّن الاعتقاد في أنَّ الله عزّ وجل قد أعطىٰ بمشيئته وقدرته حصول ذلك بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم وبياناً لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ولا نستطيع حصر هذا الفضل الحاصل من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم.

والكلام في الإيمان بذلك أو رَدِّه يَطُولُ ويَقصُرُ مع المُنكِر، ولا يزيد ذلك الكلام والبحث فائدة لمن أعمىٰ الله بصيرته وجعل هَمّهُ الإنكار والتشريك والقذف، فنختصر الكلام معه **بقولنا**:

في هذا الكتاب أحاديث وآثار مرويةٌ في كتب ودواوين السُّنّة المطهرة، وحوادث حصلت لأئمة عِظَامٍ ممن يُرجَعُ لقولهم وكتبهم، وكذلك نجِدُ كثيراً من هذه الأخبار والآثار والقصص منقولة في كتب أئمة آخرين، ومتناثرة في صفحات مُؤلّفاتهم، وسنذكرهم على سبيل المثال لا الحصر، فمن شاء رَدّ شيءٍ؛ فليردَّ على هؤلاء الأئمة ويطعن فيهم كما هو دأبُ كثيرٍ منهم، فينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَا نَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾.

فممن نقل عن هذا الكتاب من الأئمة:

١ ـ الإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتابه: «القول البديع».

٢ ـ الإمام الحافظ أحمد بن محمد القسطلاني في كتابيه: «المواهب اللدنية» و:«مسالك الحنفا».

٣ ـ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابيه: «تنوير الحلك» و: «الأرج بالفرج».

٤ ـ الإمام محمد بن يوسف الصالحي في كتابه العظيم: «سُبل الهُدىٰ والرشاد».

٥ ـ العلامة الإمام نور الدين علي السمهودي في كتابه: «وفاء الوفا».

٦ ـ الإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي في كتابه: «تحفة الزوار».

٧ ـ العلامة الشيخ يوسف النبهاني في كتابيه: «حجة الله على العالمين» و: «شواهد الحق» الذي هو تلخيصٌ لهذا الكتاب.

٨ ـ العلامة الشيخ داود بن سليمان الخالدي في كتابه: «نحت حديد الباطل».

وذكره الإمام الحافظ برهان الدين إبراهيم بن محمد الناجي في كتابه: «عجالة الإملاء» وأشار إلى أنَّ المُصنّف تلميذ الحافظ المنذري.

وغيرهم ممن يلزم لذكرهم وتَتبُّع ذلك في كتبهم إفراد صفحات، ولكن كما قيل: يكفي اللبيب إشارة مرموزةٌ.

ومما يجدر ذكره ما حصل من نسبة الكتاب خطأً لغير المُصنِّف، فقد عزاه حاجي خليفة في «كشف الظنون» ٢: ١٧٠٦ إلى الإمام أبي الربيع الكلاعي، ولعله اختلط عليه بسبب أنَّ للكلاعي كتاباً بعنوان: «مصباح الظُّلَم».

وكذا أخطأ صديق حسن خان في كتابه «أبجد العلوم» ٣: ١٠٥ فقد نَسبهُ إلى الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي.

وحصلت النسبة الخطأ كذلك بالنسبة للنسخة «ب» حيث ذُكر الكتاب عليها منسوباً لأبي الليث السمرقندي.

وقد أثبت نسبته للمؤلف من نقل عنه ممن ذكرنا.

وقد نقله جُملةً وتفصيلاً الإمام هبة الله البارزي في أول كتابه «توثيق عُرىٰ الإيمان» ونسبه إلى المؤلف، ولكن بزيادة بعض ألفاظٍ، ونقصٍ لبعضها في مواضع رجعت إليها عند استشكال بعض العبارات والألفاظ.

نفعنا الله بما نعلم ونعمل، وزادنا محبّةً وشوقاً لرؤية ولقاء الحبيب المُعظَّم والنبي المُبجَّل سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه راجين الرحمة والمغفرة

وصف النسخ الخطية المعتمدة

اللهم لك الحمد والفضل والشكر حيث مننت بالحصول على نُسخٍ من هذا الكتاب، وهي كما سأبين:

١ ـ النسخة (أ) وهي النسخة المعتمدة كأصل لإخراج هذا الكتاب، وهي نسخة عليها بلاغ مقابلة، وأصلها موجود بمكتبة تشستر بتي بإيرلندة، وعدد أوراقها (١٢٨) ورقة، وعدد سطورها (١٥) سطراً، وبآخرها بلاغ مقابلة، وهي مضبوطة بالشكل.

٢ ـ النسخة (ب) وهي نسخة نُسِبتْ في عنوانها لأبي الليث السمرقندي، وهي مصورةٌ عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة، وعدد أوراقها (٤٧) ورقة، وعدد سطورها (٢٥) سطراً، وبها سقطٌ بوسطها عدّةُ أوراق.

٣ ـ النسخة (جـ) وهي نسخة بها تحريفٌ وتصحيفٌ كثير، ومصورةٌ عن الأصل المحفوظ بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وعدد أوراقها (٥٦) ورقة، وعدد سطورها (٢١) سطراً.

وأعلمنا بوجود نسخة أخرى كذلك بالمكتبة السالفة الذِّكر، لكن لا تبعد عن مماثلة هذه النسخة الأخيرة، فتم الاستغناء عنها، وذكرت الأستاذة ثريا لهي أنَّ بالمكتبة الوطنية بتونس نسخة من الكتاب.

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام المحقق القدوة العارف المحدث شمس الدين
ابو عبد الله محمد بن موسى بن النعمن المدالي نفع الله ببركة
وتغمده برضوانه ومغفرته الحمد لله المحسن لمن دعاه
الموفق لمن قصده ورجاه والصلاة والسلام على نبيه
محمد الذي خلقه من اطهر نسل وارتاه الشفيع المشفع
في عرصات المحشر في الخطائين من امته مخالفه
وعصاه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما اما بعد فانه
سبق جماعة من العلماء الاعلام الى جمع اخبار من
استغاث بالله تعالى في الازمان ولجاء اليه عند
الطلب فبلغه الله تعالى طلبته واسبغه وفرج عنه
كربته وشدته فجمع في ذلك الامام ابو بكر بن ابي الدنيا
كتابا سماه بكتاب الفرج بعد الشدة وكتابا سماه بمجابي
الدعوة والامام النوخي في ذلك كتابا كبيرا سماه بكتاب

الفرج

الفرج بعد الشدة ايضا ونسج على منوالهما جماعة منهم
الامام ابو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث محدث قرطبة
والقاضي بهاء الدين في ذلك كتابا سماه بكتاب المستظرفين بالله
الامام ابو القسم خلف بن عبد الله
بن بشكوال الف في ذلك كتابا سماه بكتاب المستغيثين بالله تعالى
وهذا باب واسع فان الحق عن عبده غير مسدود وعطاؤه
سرمدا غير مجدود ولا محمود وفي ذلك قال الشاعر في فرج ذلك الباب

قل للذين تحصنوا عن راغب بمناول من دونها الحجاب
ارفعوا عن قبابكم بوابكم فالله ليس بما به بواب

فقصدنا ذكر ما وقع لي ممن استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم وادى
به في شدته وتوسل الى الله به فرجه خيرة من خليقته
ولم ار فيما علمت من جمع شيا في ذلك فاستخرت الله تعالى وذكرت
ما وقع لي من ذلك بعدما اقدم ما شاهدته مما تحققته
خبرا خبرا عيانا لا انا لما فقلنا مع الحاج

وآوارا

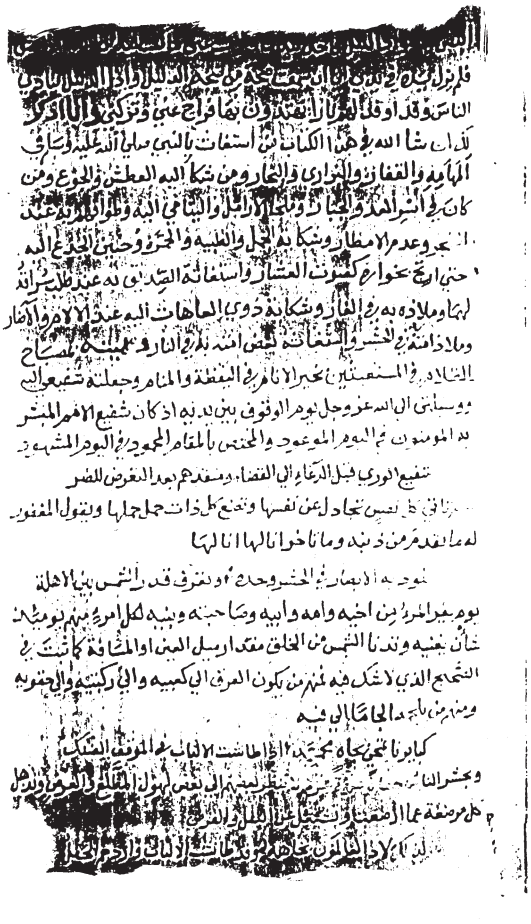

نموذج النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الامام العالم العامل الورع الزاهد ابو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المرادي رضي الله عنه وارضاه: الحمد لله المجيب لمن دعاه الموفق لمن قصده ورجاه والصلوة على محمد نبيه المختار من اطهر وازكى الشفيع المشفع في عرصات المحشر الخلائق بين: من امنه ممن خالفه وعصاه اما بعد فانه سبق جماعة من العلماء الاعلام الى جمع اخبار من استغاث بالله في الازمات والجأ عند الطلبات فسبقه الله طلبه وامنيته وفرج عنه كربته وخذله جمع في ذلك الامام ابو بكر ابن ابي الدنيا كتابا سماه بكتاب الفرج بعد الشدة وكتاب سماه بمجالي ابو عوذة وللامام السنوحي كتيبته ابو القاسم في ذلك كتاب كبير سماه بكتاب الفرج بعد الشدة الفيا ونسخة على ضوا لهما جماعة منهم الامام ابو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث محدث قرطبة القاضي بها الف في ذلك كتابا سماه بكتاب المستغيثين بالله عند تنزل البلاء وبليته

وبعده الامام ابو القاسم خليف بن عبد الملك بن بشكوال الف في ذلك كتابا سماه بكتاب المستغيثين بالله وهذا باب واسع فان باب الحق عند عبيده غير مسدود وعطاؤه وبره غير مجدود ولا محدود وفي ذلك قال من قرع ذلك الباب فاذا هي اليه وعنه فتاب: قل للذين تحصنوا عن رغبتي بانزل من دونها الحجاب ... ان حال عن لقياكم بوابكم ... فانه ليس لبابه بوّاب

فعنّ لي ان اذكر ما وقع لي ممن استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم والذي في في شدته وتوسل الى الله به اذ هو خيرته من خلقه وهم ارفع اسلفت من جميع شيأ في ذلك واستخرت الله تعالى وذكرت ما وقع في ذلك بعد ما اقدم اشاهده مما لحقه خبرا لاخبرا عيانا لا اثر الى قفن مع الحاج سنة تسع وثلاثين وستمائة فقدمنا من قلعة صدر في جماعة ومعنا دليل غير دليل الركب فبينا نحن في بعض الطريق بقدمنا الدليل في طلب الماء وبقينا خلفه الى الغروب فبعث الدليل اخر النهار وثبت خلفه الى الغروب فدخل على الليل واظلم ودخل علينا الاثر فاسرعت المشي فادركني التعب والعطش واشرفت على التلف وبقيت لا ادري اين اسير فرأيت خيالا ظننت ان ذلك لبعض من صحب الدليل فقصدته فوقفت في الشجر فغلبت اني زلت عن الطريق وزاد بي العطش الى ان اشرفت على الهلاك وخليت من الحياة فقلت يا محمد مستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم فسمعت قايلا يقول لي ارشد فطرت فاذا شخص لم اثبت وجهه وعليه ثوب ابيض في سواد الليل فاخذ بيدي وزال عني ما كنت فيه من التعب والعطش فلم تزل يده في يدي الى ان سمعت صحبة من صحب الدليل واذا ينادي الناس وقد اوقدوا لهم نارا يهتدون لها فخرج عني وتركني وانا اذكر ذلك في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم في الهلكة والتعذر والبراري والبحار ومن شكا اليه العطش والجوع ومن كان في السرو

ترجمة المُصنِّف(*)

هو: الإمام الكبير الشأن القدوة، الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى ابن النعمان بن أبي عمران بن محمد المُزالي الهتناني التِّلمساني.

وُلِدَ سنة ست، أو سبع وست مئة بتلمسان، قرأ الفقه على مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى، واشتغل بالعربية حتى قيل إنه حفظ كتاب سيبويه، ثم قَدِمَ الإسكندرية شاباً فسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن عماد الحراني، وأبي القاسم عبد الرحمن الصفراوي، وأبي الفضل جعفر الهمذاني. وفي مصر سمع من أبي الحسن ابن الصابوني، وأبي القاسم ابن الطفيل، وابن المُقيّر، وأبي عمرو عثمان بن دحية، ومن المنذري، والرشيد العطار، والعز بن عبد السلام.

ولبس خرقة التَّصوف من الإمام القدوة علي بن أبي القاسم ابن قفل، وكان المُصنّف رحمه الله تعالى فقيهاً مالكياً، زاهداً عابداً، راسخ القَدَم في العبادة والنُّسك، مجتهداً في عمارة الجوامع والمساجد والزوايا، عَمَّر بمصر ما يزيد علىٰ ثلاثين موضعاً، وَصنَّف في التصوف تصانيف حسنة، وحدَّث فسَمع منه الجماعة.

(*) مصادر الترجمة (بتصرف) «العبر» للذهبي ٣: ٣٥٤، «مرآة الجنان» لليافعي ٤: ٢٠٠، «المُقفّى الكبير» للمقريزي ٧: ٢٢١، «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ٧: ٣٦٣، «الوافي» للصفدي ٥: ٨٩، «شذرات الذهب» لابن العماد ٧: ٦٧٠، «هدية العارفين» للبغدادي ٢: ١٣٤.

ومن مصنَّفاته غير كتابنا هذا:

١ ـ إعلام الأجناد والعباد أهل الاجتهاد بفضل الرباط والجهاد.

٢ ـ النور الواضح إلى محجّة المنكر الصارخ في وجوه الصائح.

٣ ـ وظائف في المنطق.

٤ ـ عُدّة المجاهدين عند قتال الكفرة الجاحدين.

توفي رحمه الله تعالى تاسع شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وست مئة، ودفن بالقرافة الكبرى قريباً من شيخه أبي الحسن علي بن قفل، وشيعه أُمم.

رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام المُحقّق القدوة العارف المُحدِّث شمس الدِّين أبو عبدالله محمد بن موسى بن النعمان المزَالي نفع الله ببركته، وتغمده برضوانه ومغفرته.

الحَمدُ لله المُجيب لمن دَعاه، المُوفِّق لمن قَصدهُ ورجاه. والصَّلاةُ على نبيه محمد الذي خَلَقهُ من أَطْهرِ نَسلٍ وَأزكاه، الشَّفيع المُشفَّع في عَرصاتِ المَحْشَر في الخطَّائِينَ من أُمّته؛ ممن خَالفهُ وعَصاهُ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أمّا بعد:

فإنه سَبق جَماعةٌ من العلماء الأعلام إلى جَمع أخبار من استغاث بالله في الأزمات، ولجأ إليه عند الطلبات، فَبلَّغهُ الله تعالى طِلْبَتَه وأُمنيته، وَفرَّج عنه كُربته وشِدَّتَهُ.

فَجمع في ذلك: الإمام أبو بكر بن أبي الدَنيا كتاباً سَمّاهُ: «الفَرج بعد الشِدّة»، وكتاباً سَمّاهُ: «مُجَابي الدَّعوة»، وللإمام التَّنوخي كُنيته أبو القاسم في ذلك كتابٌ كبير سَمّاهُ: «الفَرج بعد الشِدّة» أيضاً.

ونسجَ على مِنْوَالهما جَماعةٌ؛ منهم: الإمام أبو الوليد يُونس بن عبدالله بن مُغِيث، مُحدِّثُ قُرطبة والقَاضي بها، أَلّفَ في ذلك كتاباً

سَمّاه كتاب: «المُستَصرِخين بالله عند نزول البَلاء»، وبَلَدِيُّهُ الإمام أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن بَشكُوال، وَألّفَ بذلك كتاباً سَمّاهُ «المُستَغِيثين بالله» [١] وهذا بَابٌ واسعٌ. فإنَّ بَاب الحقِّ عن عَبِيدِهِ غير مَسدُود، وَعطاؤهُ سَرْمداً غير مَجْذُودٍ ولا مَحدود.

وفي ذلك قال:

مـن قَـرع ذلـك البَـاب فـأوىٰ ... إليـــه وعنـــه فَمـــا آب

قُلْ للَّذِين تَحصَّنُوا عن رَاغـبٍ ... بمنـازل مـن دُونهـا الحُجّـاب

إن حَـالَ عـن لُقيْـاكُم بَـوّابكُمْ ... فَـــاللهُ لـــيس لِبَابـــهِ بَـــوَّاب

فَقصدتُ أن أذكُر ما وقع لي ممن استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ولاذَ به في شِدّته؛ وتوسَّل إلى الله عزَّ وجَل؛ إذ هو خِيرتُهُ من خَلِيقَتِه، ولم أرَ فيما عَلِمتُ من جَمعَ شَيئاً من ذلك.

فَاستخَرتُ الله تعالى؛ وذَكرتُ ما وقع لي من ذلك؛ بعدما أُقَدِّمُ ما شَاهدتُهُ، مما نَحوتُهُ خُبراً لا خَبراً، عَيْناً لا أثراً.

لمَّا قَفلنا مع الحَاج سنة تسع وثلاثين وست مئة، تقدَّمنا من «قَلعةِ صَدر» في جَماعة ومعنا دَليلٌ غير دَليل الركب، فبينا نحنُ في بعض الطريق يَقْدُمنَا الدَّليلُ في طَلب الماء، وبقينا خَلفهُ، فَتبعتُ الدَّليل آخر

---

(١) جميع ما ذكر المُصنِّف مَطبوعٌ مُتَداولٌ، سِوى كتاب أبي الوليد «المستصرخين بالله...» لم أقف عليه.

النهار، ومَشيتُ خَلفهُ إلى الغروب، فَدخل عَليَّ الليل وأظلم، وخَفِي عَليَّ الأثر. فَأسرعتُ المَشي فأدركني التَّعبُ والعَطش، وأشرفتُ على التَّلفِ، وبقيت لا أدري أين أسِير.

فَرأيتُ خَيالاً ظَننتُ أنَّ ذلك لبعض من صَحبَ الدَّليل؛ فَقصدتهُ، فَوقعتُ في أشجار، فَعلمتُ أني تِهتُ عن الطَّريق، وزادني العَطشُ إلى أن أَشرفتُ على الهَلاك، ويئستُ من الحياة.

فَقلْتُ: يا مُحمّد ـ مُستغيثاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ، فَسمعتُ قائلاً يقول لي: أَرْشد.

فَنظرتُ فإذا شَخصٌ لم أُثبِت وَجهَهُ، وعليه ثَوبٌ أَبيض في سَواد اللّيل، فأخذَ بيدي وزال عَني ما كنتُ فيه من التَّعب والعَطش. فلم تَزل يَدهُ في يدي إلى أن سَمعتُ ضَجَّةً من صَحب الدَّليل، وإذا الدَّلِيل يُنادي الناس؛ وقد أوقدَ لهم ناراً يَهتدُون بها، فراح عَني وَتركني[1].

وأنا أَذْكُر لك في هذا الكتاب إن شاءَ اللّهُ تعالى؛ من استغاثَ بالنبي صلى الله عليه وسلم في المَهَامِهِ والقِفَار، والبَراري والبِحار، ومن شكىٰ إليه العَطش والجُوع، ومن كان في أَسرِ العَدو الجبار.

وملجأ الأرامل واليتامىٰ إليه، وَطَوفِهم به عند الصَّحْوِ وعدم الأمطار. وشِكاية الجَملِ، والظَّبيةِ، والحُمَّرةِ، وحَنين الجِذْع إليه حتى

---

(١) وردت القصة في نسختَيْ «توثيق عُرىٰ الإيمان» ببعض الزيادات في ألفاظها مما ليس في النسخ الخطية لأصل الكتاب؟!.

ارتجَّ المسجد لِخُوارِه كصوت العِشَار.

واستغاث به الصدّيقُ رضي الله عنه عند طَلب سُراقَةَ لهما، ومَلاذِه به في الغار.

وشِكَاية ذَوي العاهات إليه عند الآلام والآصار، وملاذ أُمَتِه به في الحشر، وَاستغَاثةُ بعض أُمّتِه به في النار.

وَسمَيتهُ: بـ «**مصباحِ الظَّلام في المُستغِيثينَ بخير الأنام في اليقظة والمنام**». وَجعلتهُ شَفيعي إليه، وَوَسِيلَتي إلى الله يومَ الوقُوف بين يديه، إذ كان شَفيعَ الأُمم المُبَشّر به المؤمنون في اليوم المَوعُود، والمُختصَّ بالمقام المحمود في اليوم المشهُود، شَفيع الوَرَىٰ قبل الدُّعاء إلى القَضا، ومُنْقذُهم بعد التَعرُّض للبطش يوم تأتي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عن نَفْسِها، وَتضعُ كُلُّ ذاتِ حَملٍ حَملها، ويقُول المغفُور له ما تَقدَّم من ذنبه وما تأخّر: «**أَنا لهَا**».

تَلوذُ به الأبصارُ في الحَشْرِ وَحدهُ وَيُعْرَفُ قَدْرُ الشمس بين الأَهِلة

يوم يَفِرُّ المرءُ من أخيه، وأُمّهِ وأبيه، وَصاحِبته وَبَنيه، لكُلِّ امرئٍ منهم يَومئذ شَأنٌ يُغْنيه. وتدنو الشمسُ من الخَلْق كمقدار مِيل العين أو المسافة، كما ثبت في: «**الصحيح**» الذي لا شَكّ فيه، فمنهم من يَكُون العَرقُ إلى كعبيه، وإلى رُكْبتيه، وإلى حِقْويهِ، ومنهم من يُلجُمه إلجاماً إلى فِيهِ[1].

---

(١) ورد ذلك في حديث أبي أمامة رضي الله عنه في «مسند الإمام أحمد» =

كَبائرنا تُمَّحىٰ بجَاهِ مُحمدٍ

إذا طَاشت الألبابُ في الموقف الضَّنكِ

وَيُحشر الناس حُفَاةً عُراةً غُرلاً، لا ينظر بَعضُهم إلى بَعضٍ، لِهَولِ المَطلع وَالعَرض، وتَذهلُ كُلُّ مُرضعةٍ عما أَرضعت، وتشتغلُ بالنَّفلِ عن الفَرض:

لذلك لاذَ العَامِلُون بجَاهِهِ

وقد طَاشت الألبابُ وازدَحم الجَفلُ

وجميعُ الأنبياء آدم فمن دُونه يقول: «نفسي نفسي»، وقد عَمّهم الهمسُ وَاللّأواءُ والنبي صلى الله عليه وسلم في تلك العَرصَاتِ يَتبخترُ في حُلّته وَبيده اللِّواء.

لواءُ رسول الله في الحَشْر خَافِقٌ وهَل تَحتهُ إلاَّ النَّبيون والرسلُ

وَفّقنا الله للاقتداء بِسُنّته، وحشَرنا في زُمرته، ولا خَالفَ بنا عن طَريقته، وجعلنا في الرَّعِيل الأَوّل من أَهلِ شفاعته.

فهو شَفيعٌ ولا شَفيع غيره في مَوقفٍ يتأخر الشُّفَعاء

لما نَاظر أمير المؤمنين أبو جعفر مالكاً رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال له مَالكٌ رحمه الله تعالى: يا أمير المؤمنين، لا تَرفع صَوتك

٦: ٣٣٨ (٢١٦٨٢).

في هذا المسجد، فإنَّ الله عَزّ وجَل أَدّبَ قَوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية، ومدح قَوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ الآية، وَذمَّ آخرين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ الآية. وإنَّ حُرمته ميتاً، كحُرمتهِ حيًّا.

فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبدالله، أستقبلُ القِبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

فقال: ولم تَصرِفُ وَجهك عنه؟! وهو وَسِيلتُكَ وَوَسِيلةُ أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة، بل استقبلهُ واستَشفِعْ به، فَيُشفِّعكَ الله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾الآية [1]...

---

(١) ذكر هذه القصة: القاضي عياض بسنده في: «الشفا» ٢:٤١، والقسطلاني في: «المواهب اللدنية»، وأبو اليمن ابن عساكر في: «إتحاف الزائر» ص١٥٣، والعز ابن جماعة في: «هداية السالك» ٣:١٣٨ وقال الإمام الزرقاني في شرحه على: «المواهب اللدنية» ٤:٥٨٠ رَدّاً على من أنكرها: «هذا تهورٌ عجيب، فإنَّ الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه «فضائل مالك» بإسنادٍ حسن، وأخرجها القاضي عياض في «الشفا» من طريقه عن شيوخٍ عدة من ثقات مشايخه. فمن أين أنها كذب؟! وليس في إسنادها وضاعٌ ولا كذاب»، انتهى.

وقال الإمام عِزُّ الدِّين ابن جماعة في: «هداية السالك٣:١٣٨ كذلك: «رواه الحافظان ابن بشكوال، ثم القاضي عياض في «الشفا» رحمهما الله، ولا يُلتفَتُ إلى قول من زعم أنه موضوع لهواه الذي أرداهُ»، انتهى.

وقال الإمام الخفاجي في شرحه على «الشفا» ٣:٣٩٨: «ولله دره حيث أوردها =